

مؤسسات الطفولة Childhood Institutions



مقدمة (Introduction)

يمثل الأطفال الاستثمار الأمثل الذي تقوم به المجتمعات المتقدمة للنهوض بمستقبلها. وقد تزايد الاهتمام بالطفولة في السنوات الأخيرة على كافة المستويات والمؤسسات والمنظمات العالمية والإقليمية والمحلية، وتعددت أوجه الرعاية والحماية للأطفال عامة، وأطفال ما قبل المدرسة الابتدائية خاصة من أجل جودة إعدادهم للحياة.

ويمثل الاهتمام برعاية الأطفال (Children) وتنشئتهم منذ السنوات الأولى من حياتهم أهم المتطلبات اللازمة لتكوين شخصيتهم. ويعد الاهتمام بتربية الطفل، ورعايته منذ الطفولة المبكرة واحدًا من أهم المعايير التي يمكن أن يقاس بها تقدم أي مجتمع، ومدى تطوره؛ حيث إن إعداد الأطفال بشكل جيد هو بالضبط إعدادهم لمواجهة التحديات الحضارية التي تفرضها حتمية التطور.

وتعد مرحلة الطفولة (Childhood Stage) من أهم المراحل التي تقوم بدور محوري في حياة الفرد، وبناء شخصيته، وتطوير مهاراته، وقدراته، وإطلاق استعداداته. ولهذه المرحلة أثر كبير على النواتج التعليمية في المراحل التعليمية اللاحقة. ففي مرحلة الطفولة للإنسان تتشكل معايير نمو الطفل في الجوانب الجسمية، والحركية، والعقلية، واللغوية، والوجدانية والروحية، والاجتماعية، والعلمية، والتي تظهر ثمارها في المستقبل، مما يؤكد أهمية الاهتمام بالطفل في هذه المرحلة.

وقد أظهرت نتائج البحوث والدراسات أن التحاق الأطفال (Children) بمرحلة رياض الأطفال يؤثر على الأداء في المرحلة الابتدائية بشكل إيجابي، ويعطي فرصة لهؤلاء الأطفال لبدء حياتهم على نحو أفضل، وأن أداءهم بشكل عام، ومهاراتهم تنمو أفضل من أقرانهم ممن لم يلتحقوا بهذه المرحلة، الأمر الذي يؤكد أهمية تربية الطفل في ضوء أسس وقواعد علمية سليمة.

وقد اهتمت الأديان السماوية بمرحلة الطفولة، وأولى الإسلام عناية خاصة بالطفل وتنمية شخصيته في كل الجوانب الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والوجدانية والخلقية والروحية، كما أوجب على

والديه الأخذ بالتربية السليمة، وتعويد الفضائل والآداب والخلق الكريم، كما اهتم الإسلام بتعليم الطفل كل ما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، حتى يشب لبنة صالحة أدبًا وخلقًا وعلماً.

والطفل (Child) بكسر الطاء مع تشديدها في اللغة هو المولود حتى البلوغ، والطفولة هي مرحلة من الميلاد إلى البلوغ. وكلمة طفل تطلق على الأنثى والذكر والجمع أيضا. قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج:5]، وقال تعالى: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور:31].

ويشير قاموس أكسفورد (Oxford) إلى الطفل على أنه هو الإنسان حديث الولادة سواء أكان ذكراً أو أنثى، كما يشير إلى الطفولة على أنها الوقت الذي يكون فيه الفرد طفلاً ويعيش طفولة سعيدة. كما يشير قاموس لونجمان (Longman) إلى الطفل على أنه الشخص صغير السن منذ وقت ولادته حتى بلوغه سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر وهو الابن أو الابنة في أي مرحلة سنية، كما يعرف الطفولة على أنها المرحلة الزمنية التي تمر بالشخص عندما يكون طفلاً.

وفي الشريعة الإسلامية يمكن استخلاص مما جاء في كتب الفقه الإسلامي أن مرحلة الطفولة: هي تلك المرحلة التي تبدأ بتكوين الجنين في بطن أمه وتنتهي بالبلوغ، ويكون البلوغ بالعلامة، وقد يكون بالسن، فالشريعة الإسلامية جعلت من بلوغ الحلم نهاية لمرحلة الطفولة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:59].

وفي القانون الدولي جاء تعريف الطفل في اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل الصادرة عام 1989م والتي عرفت الطفل بأنه كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشر مالم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المنطبق عليه، وأما الطفولة فتعرف على أنها مرحلة لا يتحمل فيها الإنسان مسؤوليات الحياة معتمداً على الأبوين وذوي القربى في إشباع حاجته العضوية وعلى المدرسة في الرعاية للحياة، وتمتد زمنياً من الميلاد حتى قرب نهاية العقد الثاني من العمر، وهي المرحلة الأولى لتكوين وهو الشخصية، وهي مرحلة للضبط والسيطرة والتوجيه التربوي.

وينطوي مفهوم الطفل في علم النفس على معنيين: معنى عام ويطلق على الأفراد من سن الولادة حتى النضج الجنسي، ومعنى خاص ويطلق على الأعمار فوق سن المهد وحتى المراهقة. وتعرف الطفولة من وجهة نظر علماء الاجتماع على أنها تلك الفترة المبكرة من الحياة الإنسانية التي يعتمد فيها الفرد على والديه اعتماداً كلياً فيما يحفظ حياته؛ ففيها يتعلم ويتمرن للفترة التي تليها وهي قنطرة يعبر عليها الطفل حتى النضج الفسيولوجي والعقلي والنفسي والاجتماعي والخلقي والروحي، تتشكل خلالها حياة الإنسان ككائن اجتماعي.

وتنقسم مرحلة الطفولة وفقاً لهذا التفسير إلى فترتين متميزتين هما: مرحلة الطفولة المبكرة (Early Childhood) وهي المرحلة التي تمتد من عامين إلى خمسة أعوام، وفيها يكتسب الطفل المهارات الأساسية مثل المشي واللغة مما يحقق قدراً كبيراً من الاعتماد على النفس، ومرحلة الطفولة المتأخرة (Late Childhood) وهي المرحلة التي تمتد من سن السادسة حتى سن الثانية عشرة من العمر وتنتهي هذه المرحلة ببلوغ الطفل ودخوله مرحلة مختلفة كثيراً عن سابقتها وهي مرحلة المراهقة. وتمثل هذه المرحلة بيئة خصبة للقائمين على التربية والتعليم في تنشئة الطفل في ضوء المعايير التي يحددها المجتمع.

خصائص مرحلة الطفولة Childhood Characteristics

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان عبر أطواره العمرية المتتابعة؛ حيث يكون تأثر الطفل في هذه المرحلة بالعوامل المحيطة به قوياً؛ ففي هذه المرحلة تتشكل السمات العامة للطفل من خلال ما يحيط به من ثقافات ومثبرات، ومن ثم، يمكن تشكيل خصائصه ومواهبه، وتنمية أساليب التفكير وغرس القيم والاتجاهات لديه في ضوء المعايير التي يستهدفها المجتمع. لذلك، فقد أولى المربون أهمية بالغة بهذه المرحلة لما لها من أثر في حياة الطفل، وذلك من خلال توفير بيئة ملائمة تساعد في تنمية استعداداته في النواحي الاجتماعية، واللغوية، والعلمية، والرياضياتية، والعقلية، والحركية، والابتكارية وغيرها في ضوء خصائص المرحلة. ويعد إمام الوالدين والمربين بخصائص نمو الطفل في مرحلة الطفولة ذا أهمية كبيرة في تنشئته على نحو يحقق أهداف المجتمع. وفيما يأتي أهم خصائص وحاجات نمو الطفل من عدة جوانب وخاصة في مرحلة ما قبل المدرسة.

الخصائص الجسمية للطفل

الخصائص الجسمية للطفل هي كل ما يطرأ من تطورات وتغيرات في وزن وطول الطفل وعلاقة ذلك بسلوكه الحسي والحركي. والنمو الحركي للطفل هو التغيرات التي تطرأ خلال حياته على سلوكه الحركي، إضافة إلى مجموع الحركات والمهارات والقدرات الحركية التي يمكن ملاحظتها.

وهناك فروق فردية بين الأطفال مما يجعل نموهم مختلفاً فيما بينهم اختلافاً كبيراً. وهناك أطفال ينمون بمعدل أسرع من غيرهم في نواحٍ جسمية معينة وينمون ببطء في نواحٍ جسمية أخرى. وعلى الرغم من أن هناك قواعد وفترات شبه محددة للنضج، إلا أن عملية النضج عملية نسبية تختلف من طفل لآخر؛ فكل طفل له شخصيته التي هي نتاج عوامل وراثية وبيئية تجعل منه شخصاً مختلفاً عن غيره من الأطفال.

ويتضح تزايد ملحوظ في وزن وطول الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة، إلا أن هذه الزيادة تصبح أبطأ في المرحلة التي تليها. وهذه التغيرات السريعة لا تحدث بالمستوى نفسه في مرحلة الرضاعة والمهد،

وإنما تكون أبطأ، ويحدث تغير على النمو الجسمي في هذه المرحلة بنسب متفاوتة في أجزاء الجسم، فالعظام والعضلات تنمو بمعدل أكثر تدرجا مع تحول شكل الرضيع إلى شكل الطفل الصغير، إلا أن الرأس والوجه تظل نسبتها أكبر مقارنة بأجزاء الجسم الأخرى.

ويحدث نمو الطفل سريعاً في الفترة الأولى من حياته، ثم تقل سرعة النمو في المراحل التالية ويفقد الأطفال حديثو الولادة بعض أوزانهم في العشرة أيام الأولى من العمر ثم يسترجعون أوزانهم بعد ذلك. ويتضاعف وزن الطفل منذ بداية الشهر الخامس ويصبح وزنه ثلاثة أضعاف عند انتهاء السنة الأولى من العمر وأربعة أضعاف عند انتهاء السنة الثانية. ويكون الطفل سريع الحركة والنشاط والحيوية وسريع الاستجابة لأي مثير خارجي، وتتميز هذه الاستجابات الانعكاسية السريعة بالاضطراب وعدم الاتساق إلى أن تصل مع النضج إلى حالة من الاتزان.

وطبقاً لنشاط الطفل الزائد وسيطرته على جسمه وقدرته على الجري والتسلق والقفز تنمو عضلاته الكبيرة الضرورية لتلك الأنشطة نتيجة لاستخدامه لها باستمرار. ثم تأتي عملية اهتمام الطفل بالأعمال والمهارات اليدوية الدقيقة التي تتطلب نمو العضلات الدقيقة في مرحلة متأخرة، وفي أواخر مرحلة الطفولة المبكرة يستطيع الطفل أن يحقق قدرًا كبيرًا من التوازن ويستطيع أن يحقق توافقًا كافيًا بين العين واليد، وتظهر بوادر السيطرة على الحركات الدقيقة.

ويمتلك طفل الروضة القدرة على الجري والقفز والتسلق، ويستطيع أن يحافظ على توازنه أثناء مشيه على خط مستقيم، ويقود الدراجة دون الاستعانة بالآخرين أو بالعجلات الجانبية، ويقف على رجل واحدة، ويعبر الشارع بأمان، ويستطيع الإمساك بأكثر من شيء في وقت واحد، إضافة إلى قدراته على الرسم والكتابة وعمل أشكال من الصلصال.

وتتميز مرحلة الطفولة المتأخرة بمجموعة من الخصائص الجسمية؛ حيث إنها فترة نمو جسمي بطيء وموحد تقريبًا وتتغير فيها نسب الجسم فيتناقص سوء توزيع النسب الشائعة في المراحل السابقة للنمو بالرغم من أن الرأس يظل أكبر نسبيًا إذا قورن بباقي أجزاء الجسم. وفي هذه المرحلة يفقد الطفل معظم أسنانه اللبنة. وما إن يبلغ نهاية هذه المرحلة تكون قد تمت معظم أسنانه الثابتة، وخلال هذه الفترة تتسطح الجبهة وتبرز الشفاه ويكبر الأنف ويأخذ شكلًا محددًا. وهذه التغيرات تغير الصورة التي عليها مظهر الطفل في مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة، وكذلك بالنسبة لوزن الطفل في هذه الفترة أو لهذه المرحلة، فإن الزيادة فيه تكون بطيئة وموحدة.

ويجب على الآباء والمربين الوقوف على طبيعة هذه المرحلة وخصائصها الجسمية، فهي مرحلة مهمة لأنها بمثابة الإعداد للدخول إلى المرحلة التالية، وهي مرحلة المراهقة. ومن هنا يجب عليهم الاهتمام بالحاجات الأساسية للطفل، والتي تتركز بشكل أساسي على الحاجات الجسمية مثل المأكل والملبس والشعور بالأمن والأمان لما لها من أهمية بالغة للطفل حيث ينعكس ذلك على نموه.

ونظرا لأهمية النمو الجسمي الذي يؤثر بشكل مباشر على بقية الجوانب الأخرى، كالنمو اللغوي والمعرفي والاجتماعي والانفعالي، فإنه يتوجب على دور رياض الأطفال أن تولي الاهتمام الكافي بهذا الجانب من جوانب النمو عن طريق توفير المستلزمات المادية داخل وخارج الروضة، وتوفير مساحات كافية لممارسة الأنشطة الحركية كأنشطة المشي والوثب الطويل وأنشطة كرة القدم والجري وغيرها.

ومما يساعد على النمو الصحيح والسوي للجسم هو الرعاية الصحية والطبية للأطفال؛ من خلال المحافظة على النظافة، ومراجعة الطبيب بشأن ممارسة السلوكيات الطبية والغذائية الصحية، مثل: الاعتدال في تناول المشروبات والأطعمة، والنوم مبكراً، وممارسة بعض التمارين الرياضية، والاهتمام بالنظافة الشخصية، وتوفير أماكن خاصة في مؤسسات رياض الأطفال لتمريض الأطفال، وعزل المصابين منهم بأمراض معدية عن الأطفال الآخرين. إضافة إلى ذلك يجب توفير إجراءات الأمن والسلامة في مبنى الروضة وفي التجهيزات التي يتعامل معها الطفل وفي أماكن اللعب.

الخصائص العقلية للطفل

أشار بياجيه في دراساته إلى أن الطفل تكون لديه منذ ولادته قدرات وإمكانيات للتفاعل واكتشاف البيئة، وتعتبر هذه القدرات والإمكانيات نقطة البداية والانطلاق لنمو التفكير لديه، ويمكن أن تنمو وتتطور وتتعدل نتيجة للتفاعل مع بيئته وما تعرضه من مثيرات. وأظهرت الدراسات النظرية والتطبيقية إمكانية نمو الذكاء، وأن القدرات العقلية تشبه القدرات الجسدية في إمكانية الازدياد والتطور بسرعة. وتعتبر مرحلة الطفولة المبكرة من أهم المراحل للنمو العقلي، فكلما أتيح للطفل في سنوات الطفولة المبكرة حوافز فكرية ملائمة زاد نباهته، وارتفع مقياس ذكائه عندما يصبح راشداً. وتعد مرحلة ما قبل المدرسة مرحلة السؤال والاستفسار؛ فالطفل دائم السؤال للتعرف على الأشياء التي تثير انتباهه وي طرح علامات استفهام حية بالنسبة لكل شيء. أي إن الطفل يكثر من السؤال والاستفسار: ماذا، لماذا، وكيف، ومتى وأين ومن؟ ويكون متعطشاً للبحث والاستزادة العقلية للمعرفة، ويلاحظ رغبته في معرفة الأشياء التي تثير اهتمامه. لذلك أطلق العلماء على هذه المرحلة مرحلة السؤال. كما يمثل التخيل بالنسبة لطفل الروضة عملية عقلية تقوم على إنشاء مفردات جديدة. وتتميز مرحلة الطفولة المبكرة باللعب الإيهامي أو الخيالي وبأحلام اليقظة، وأنه مولع باللعب بالدمى والعرائس، وتمثيل أدوار الكبار. ويستخدم الطفل في هذه المرحلة الرموز والصور الذهنية، ويكون التقليد أو المحاكاة هو الأسلوب السلوكي المميز له. والطفل في هذه المرحلة أيضاً يكتسب المعلومات عن البيئة المحيطة عن طريق حواسه، ويعتمد في إدراكه على الصور الحسية أكثر من اعتماده على المعاني المجردة. وفي مرحلة الطفولة ينتج الطفل أفكاراً وأعمالاً تظهر قدرته على الابتكار والتخيل والقدرة على انتقاء مثير واحد وأكثر من مثير من عدة مثيرات مختلفة وكذا القدرة على استبعاد المثيرات، والقدرة على ترتيب الصور، وترتيب الأرقام، والقدرة على الاسترجاع المتتابع. ويتميز النمو العقلي للطفل بحب الاستطلاع؛ حيث تتسع مداركه فيكتسب خبرات ومعلومات عن العالم

الخارجي، ويكون ذلك عن طريق استعمال الحواس وربطها ببعضها مثل اللمس والنظر والسمع، وكذلك عن طريق التفكير في حل مشكلاته اليومية. فالطفل يمسك الأشياء بيديه ويفحصها وتساعدته عملية المشي على الوصول إلى أشياء كانت بعيدة عن متناول يده، وذلك يشبع رغبته في المعرفة واستطلاع الأشياء من حوله. كما أن الطفل يعيش بواقعية خاصة من نوعها والتي تختلف بدورها عن واقعية الكبار. وهذه الواقعية تتمركز حول الذات وتبعد عن الموضوعية عند النظر إلى العالم الخارجي، وذلك لعدم قدرة الطفل على التمييز بين الموضوعي والذاتي. ويميل الطفل إلى مزج الأحلام بالواقع وإسقاط مشاعره وأحاسيسه في كل ما يراه حوله. كما أنه يعتمد في تفكيره على الإلهام وليس المنطق ويدرك العالم من منظوره الخاص، ولا يستطيع إدراك الزمن ويعتمد على حواسه.

كما يتصف الطفل بالإحيائية؛ فهو يعطي الأشياء والكائنات من حوله صفة الحياة وكأنها تحس وتشعر وتفرح وتحزن وتتألم مثلما يحس ويشعر ويفرح ويتألم، كما يعتقد الطفل أن للأشياء من حوله إرادة ورغبة. كما يتصف الطفل بخصوبة الخيال التي تجعله يتجاوز حدود الزمان والمكان الذي يخرج من عالمه الصغير ويجعله ينسج عالمًا آخر مليئًا بألوان السحر وإشباع الحاجات والرغبات التي يقف فيها الكبار من حوله أمام إشباعها. ويتصف الطفل أيضًا بالميل إلى التفكير والتركيب حيث تنمو لديه الرغبة في فك الأشياء وإعادة تركيبها ثانية للتعرف عليها وإدراك سرها واكتشافها، وهو بذلك يكتسب معلومات ومعارف أكثر من العالم الخارجي، وهو يحاول فك لعبته في أجزاء ويدرس كل جزء فيها على حدة، ثم يحاول تركيبها مرة أخرى عن طريق المحاولة والخطأ. ورغم أنه غالبًا ما يفشل في إعادة تركيب الأشياء كما كانت عليه من قبل إلا أنه يجد لذة وشوقًا كبيرًا في فهمها.

وتتمثل الخصائص العقلية في مرحلة الطفولة المتأخرة في أن الطفل يأخذ في الانتقال من مرحلة الخيال واللعب الإيهامي إلى مرحلة الواقعية أو الموضوعية، فاتصاله بالعالم المحيط به يزيد من مدركاته الحسية لعناصر البيئة التي يعيش فيها، كما أن القوى العقلية تأخذ في النضج كالذكر والتفكير والربط والقدرة على التصور. كذلك، تزداد قدرة الطفل على الانتباه الإرادي ولكنه يحتاج إلى معاونته من حيث مراعاة مدة الدرس واستخدام وسائل الإيضاح التي تعينه على فهمه لموضوعات الدروس. وذاكرة الطفل في هذه المرحلة ذاكرة قوية قادرة على استيعاب كثير مما يصل إليها وقادرة أيضًا على الاحتفاظ بالمعلومات أطول مدة ممكنة وتساعد قوة الذاكرة على الاستفادة من كثرة المران والتكرار مما يؤدي بالطفل إلى إتقان كثير من المهارات الحركية والعقلية.

وفي هذه المرحلة يستطيع الطفل التفكير باستخدام المعلومات التي يدركها إدراكًا مباشرًا كما يصبح أكثر مرونة في استخدام هذه المعلومات، كذلك يصبح أكثر تركيزًا على استعادة الأحداث الحقيقية في صورة فكرة، كما أنه يتسم بالقدرة على إدراك التحويلات والتي تؤدي إلى تغير الشيء من حالة إلى حالة أخرى كما أنه يتميز بالتصنيف للأشياء، وأيضًا القدرة على التسلسل التي يقصد بها ترتيب الأشياء تبعًا لمتصل

كمي، كما أنه يستطيع أن يتعامل مع الزمان والمكان بسهولة. كما أن هذه المرحلة تتميز من حيث الخصائص العقلية أيضًا بأنها فترة خاصة في حياة كل شخص لأنها فترة مهمة للتعليم، حيث يمكن للطفل أن يتعرف على العالم الخارجي ومعرفة ما هو متوقع من المجتمع وأنه لابد لكي يتحقق هذا التعليم أن يتم توفير جو من الحرية والسعادة له وأن يبعد بقدر الإمكان عن القلق والتوتر.

وهناك عدة عوامل تؤثر في النمو المعرفي للطفل، مثل: الوضع الصحي العام للطفل والدافعية والفرص المتاحة، كذلك الظروف والتغيرات البيئية وأسلوب التربية والتعليم. ويتأثر عامل الذكاء بهذه العوامل ثم يؤثر بدوره في النمو المعرفي، كذلك المستوى الاجتماعي والاقتصادي وغياب الوالدين أو أحدهما عن الأسرة. ويقع على عاتق دور رياض الأطفال مسؤولية كبرى في العمل على زيادة النمو العقلي عند الأطفال وذلك من خلال العمل على توفير مشيرات متعددة ومتنوعة واسعة للطفل عن طريق اصطحابه في زهات ورحلات جماعية، والعمل على تشجيع وتنمية هوايات الطفل المختلفة؛ مثل جمع الأشياء كالصور والطوايح، وتوفير الدمى، وتشجيع ألعاب تمثيل الأدوار المعتمدة على الخيال، وفتح أطر التواصل اللفظي والحوار مع الأطفال. كما يحتاج الطفل في هذه المرحلة أيضا إلى تنمية المهارات العقلية، مثل: التذكر، الإدراك، التفكير وذلك من خلال ترديد الأغاني والأناشيد والقصص التي سبق أن تعلمها، ولابد من تربية حواس الطفل مع تدريبه على الملاحظة المنظمة، وتنويع خبرات الطفل الفردية، حتى يكتسب خبرة متكاملة تعمل على تطوير نموه وتكامل شخصيته.

الخصائص اللغوية للطفل

يهر الطفل في نموه اللغوي بمراحل عدة قبل أن يصل إلى مرحلة اكتساب اللغة. فمن خلال التفاعل مع البيئة، وعبر مسار النمو الذاتي يهر عقل الطفل بحالات متتابعة تتمثل فيها البنى المعرفية، بالإضافة إلى أن هناك تغيرات سريعة تحدث للغة الأطفال خلال السنوات الأولى من أعمارهم؛ حيث يتقن الأطفال كثيرا من المهارات اللغوية مع بلوغهم عمر (5-6) سنوات. وتتزايد المفردات التي يستخدمها الطفل كل عام، وكلما تقدم الطفل في العمر تصبح الجملة التي يلفظها أطول وأكثر تعقيدا. ومنذ سن ثلاث سنوات يبدأ الطفل في استخدام الجمل المركبة، والتي تتضمن استخدام حروف الجر والضمائر وأدوات النفي وأدوات الاستفهام، وتستمر المفردات وتراكيب الكلام في الازدياد والتنوع والعمق.

ويستطيع الطفل في المرحلة المبكرة تبادل الحديث مع الكبار ووصف الصور وصفاً بسيطاً، كذلك الإجابة عن الأسئلة التي تتطلب إدراكاً، ويتمكن الطفل من السيطرة على لغته والاستفادة منها، ويفصح عن حاجاته وخبراته وتكوين جمل مفيدة تامة الأجزاء أكثر تعقيدا ودقة في آن واحد، حيث تتكون من أربع إلى ست كلمات، وتتمثل حاجات النمو اللغوي في الحاجة إلى التعبير باللغة، واكتساب المهارات اللغوية، وتنمية الحصيلة اللغوية.

والتطور اللغوي عند الطفل ينطوي على مهارتي الاستقبال والتعبير. علمًا بأن مهارة الاستقبال تنضج قبل مهارة التعبير. وتتسم سرعة التطور اللغوي عند الأطفال بالتباين الشديد من طفل إلى آخر، فكثرًا ما يصل بعض الأطفال إلى عمر الثلاث سنوات ولا يزالون لا يتقنون سوى بضع كلمات، بينما تجد أن أطفال السنتين أو أقل بقليل يتحدثون بجمل واضحة ومفهومة إلى حد جيد. ويمكن تفسير هذا التباين من خلال العوامل المؤثرة في التطور اللغوي، وبالتحديد العوامل البيئية، والعوامل الذاتية الخاصة بالطفل كالذكاء وسلامة أجهزة النطق... وغيرها.

ويسبق النمو اللغوي النمو القرائي، فالطفل يستطيع أن يصغي إلى اللغة التي يتكلم بها من يحيطون به، ويكون فكرة عما يقصدونه، وذلك تبعًا للمواقف التي يستمع بها إلى كلمات معينة، سواء أقام أحد بتعليمه أم لم يقم، فكما هو معروف، تسبق مرحلة الفهم مرحلة الكلام عند الطفل، والكلام مهارة من مهارات اللغة الأساسية يستعمل فيها الإنسان الكلمات للتعبير عن أفكاره، فهو مزيج من التفكير والإدراك والنشاط الحركي. والاستعداد للكلام فطري، أما اللغة فهي مكتسبة، وهي ملكة اختصاص بها الإنسان دون سائر المخلوقات، إنها أهم وسائل الاتصال الاجتماعي والعقلي، ومظهر من مظاهر النمو العقلي.

وتتعدد مظاهر الاستعداد اللغوي للطفل في نهاية مرحلة الروضة، منها: أنه يعيد ترتيب الأحداث والمواقف كما وردت في المسموع، يفهم ويتبع التعليمات البسيطة ذات الخطوة والخطوتين، يميز بين الأصوات المختلفة للحروف، يميز أصوات الحروف متقاربة المخرج، ويعبر عن مواقف الحزن والسرور بجمل وكلمات بسيطة، يتحدث في جمل تامة، يميز أصوات الحروف في الكلمات المكونة من ثلاثة أصوات، ينطق الحروف الهجائية من مخارجها الصحيحة، يحدد المقاطع الصوتية في الكلمات ذات المقطعين مثل كلمة بابا، والثلاثة مقاطع مثل كلمة صابونة، يميز أوجه التشابه والاختلاف في رسم الحروف الهجائية، يربط بين الصورة والكلمات الدالة عليها، يكون كلمات جديدة من عدة حروف، يميز أنواع المادة المطبوعة مثل: جريدة، كتاب، قصة، يتعرف الملامح الأساسية للمادة المطبوعة، يتعرف استخدام أدوات الكتابة.

ويحتاج الطفل من أجل رعاية النمو العقلي إلى اكتساب المهارات اللغوية، حيث يسهم النمو اللغوي للطفل في التعبير عن حاجاته ومتطلباته، كما تساعده في التواصل مع الآخرين والتعبير عن انفعالاته؛ مما يخلصه من التمرکز حول الذات. وتبين الشواهد التجريبية أن الاتصال بالكبار والتفاعل معهم ينهض بالنمو اللغوي والعقلي والقدرة على التفكير والتخيل عند الأطفال بدرجة كبيرة. وبذلك ينبغي الاهتمام بإشباع ميل الطفل للحوار والتشجيع على القراءة وطرح الأسئلة والمناقشة والحوار ورواية القصص وتدريبه على الاستماع إلى الآخر ومناقشته فيما استمع إليه.

الخصائص الانفعالية للطفل

تتصف مرحلة ما قبل المدرسة في مجال النمو الانفعالي للطفل بثلاث حالات: الحالة الأولى، وتتمثل في العنف، والتأثر الشديد، وعدم الاستقرار والغضب إلى درجة التشنج والعدوان، والخوف إلى درجة الذعر، والغيرة إلى درجة التحطيم، والحزن إلى درجة الاكتئاب، أما الحالة الثانية، فتتمثل في حالة التذبذب من الألم إلى السعادة، ومن الحزن إلى الفرح، ومن الخوف إلى الأمن والراحة، والحالة الثالثة، ترتبط بالحالتين السابقتين بل تكون سببا لهما، وتتمثل في ضعف الناحية الجسمية للطفل التي لا تبلغ مبلغ الرجال، إضافة إلى ضعف عمليات التفكير لدى الطفل والتي تحول دون معرفة كيف يتخلص من الظروف العصبية المحيطة به. ويتحكم في ذلك عوامل داخلية منها الطاقة الزائدة والكامنة لديه والتي تجعله شديد التأثر بمن حوله باستمرار، ومنها عوامل خارجية مثل معاملة الوالدين وسلوك الكبار معه.

ويكون الطفل في هذه المرحلة في حالة شبه مستديمة من التطور الانفعالي بل التهييج. وتعكس استجابات الطفل الانفعالية كلاً من حالة جهازه العضوي وحساسية هذا الجهاز للتأثر بما يحيط به. كما أن الطفل يكون عديم القدرة على تحويل سلوكه أو تعديله ولا يكون ما به من تشبث وإصرار قدر ما هو عدم قدرة على التوقف، كما أن الأطفال الضعاف في الأداء الحركي يكونون هادقاً للاضطرابات المزاجية ويتملكهم السأم والقلق. وبذلك تتصف هذه المرحلة بعدم الثبات الانفعالي والتقلب المستمر.

كما أن الخوف من أهم المظاهر الانفعالية في هذه المرحلة، والمخاوف إذا كانت طبيعية فإنها تحقق وظيفة صحية كالخوف من الطريق العام أو الحيوانات المتوحشة، أما إذا كانت غير طبيعية فإنها تؤثر سلباً وبشكل كبير على شخصية الطفل؛ حيث إنها تعوق عملية غرس الاستقلالية والاعتماد على النفس داخل نفس الطفل. ويكون لدى الطفل استعداد كبير للاستجابة للمثيرات والمؤثرات البيئية من صوت وضوء وحركة ولمس ويستجيب لها بسرعة، ولكن بحركة عشوائية وانعكاسية تحتاج إلى توجيه سليم من خلال أنواع النشاط والرعاية التربوية الموجهة.

ويعمل الطفل إلى فهم ذاته من خلال المصطلحات الخاصة بميوله مثل حبه للأصوات والورود وغيرها من الأشياء التي ترتبط برغباته وميوله. كما أن مفهومه عن ذاته يتضمن صفات متغيرة ترتبط بسمات شخصيته والدوافع والقيم السائدة في المجتمع، الأمر الذي من خلاله يمكن القول بأن مفهوم الطفل عن ذاته يتغير من مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى طبقاً للتغير في ميوله ورغباته. وتسعى مؤسسات رياض الأطفال إلى تحقيق النمو الانفعالي لدى الأطفال من خلال تخليصهم من التمرکز حول الذات، وضبط وإدراك انفعالاتهم المختلفة مثل السعادة والخوف والغضب والدهشة، وتنمية القدرة على التصرف والسلوك الانفعالي دون المساس بالآخرين، إضافة إلى تنمية القدرة على فهم مشاعر وحاجات الآخرين، والتعامل المناسب معهم.

ويظهر حب الطفل لذاته وميله إلى الانفرادية وحبه للظهور وجذب انتباه الآخرين، وفي نهاية هذه المرحلة يميل الطفل إلى الاستقرار الانفعالي، ومن حاجات النمو الانفعالي الحاجة إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، والمحبة والعطف، والثقة بالنفس والرعاية والعناية والتدريب على الاعتماد على النفس، وهذا ما تقوم به مؤسسات رياض الأطفال.

الخصائص الاجتماعية للطفل

تتميز مرحلة الطفولة المبكرة بمجموعة من الخصائص الاجتماعية، حيث يعمل الطفل في هذه المرحلة على تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين، ويظهر استقلالية وتقبلاً لذاته، ويظهر رغبة في مواصلة العمل رغم صعوبته، ويفضل اللعب مع فئات قليلة العدد، ويظهر مشاعر إيجابية نحو الآخرين، ويشارك في أعمال تطوعية وإنسانية، كما أنه يميل إلى الزهو والخيالات ويغلب عليه حب الظهور. ويبدأ اتجاه التعاون في هذه المرحلة في الظهور عند الطفل كما أنه يمكن غرس كثير من القيم والاتجاهات الأخلاقية والاجتماعية في نفوس الأطفال.

ويميل الطفل إلى الألعاب الفردية ثم إلى الألعاب الجماعية، كما ينمو لديه الاستقلال في بعض الأمور كالطعام والملبس. ويتميز طفل هذه المرحلة بالأناية وحب الامتلاك، ويقوى لديه حب التقليد واللعب والخيال مع غيره، ويكون الطفل متعاوناً جداً ومحباً لمساعدة غيره خاصة الكبار، ويمثل النشاط الجماعي له متعة خاصة نظراً لنمو قدراته الحركية واللغوية. والحاجة إلى النجاح، والتقبل، والتقدير الاجتماعي، والصحة والرفاق، المشاركة والاستقلال، وتأكيد الذات، وتعلم قواعد السلوك المرغوبة، والحاجة إلى سلطة ضابطة أو مرشدة تعد من حاجات النمو الاجتماعي.

ويمر الطفل بمرحلة انتقال بين الاعتماد على الأم وبين الاستقلال الذاتي ومحاولة إثبات شخصيته، ويميل إلى العناد والإصرار على الرأي فيحاول أن يعارض بعض الأوامر ليختبر نفسه وقدرته على الاستقلال. وتتعدد مفاهيم الصواب والخطأ والخير والشر وذلك عن طريق الآباء والمربين، ويزداد تفاعل الطفل مع الوسط المحيط ويكون مستعداً لتعلم النظم التي تجهزه لكي يكون عضواً في المجتمع ويكتسب العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع. وكذلك يصبح الطفل أكثر قدرة على أن يضع في اعتباره شعور الآخرين ويقبل أهداف الجماعة.

وتتميز مرحلة الطفولة المتأخرة بمجموعة من الخصائص الاجتماعية، حيث إنها تشمل تطور علاقات الطفل بالأطفال الراشدين وبالجماعة وبالثقافة وهذه العلاقات بهذا الشكل تصح الدعامة الأولى للحياة النفسية والاجتماعية للطفل الذي يتأثر بالأفراد الذين يتفاعل معهم والمجتمع الذي يعيش في إطاره وبالثقافة التي تسيطر على أسرته ومدرسته ووطنه. وتبدو آثار هذا التفاعل في سلوكه واستجابته المختلفة وفي نشاطه العقلي والانفعالي وفي شخصيته النامية والمتطورة. ويتم اتصال الطفل بالجماعات

المختلفة التي تؤثر في نموه وتوجه سلوكه، وأولى هذه الجماعات هي جماعة الأسرة التي تتكون من أبيه وأمه وإخوته، ثم تتسع إلى جيرانه ثم إلى زملائه في الفصل، ومن هنا تنشأ علاقاته بالمجتمع الخارجي.

والطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى أن تكون علاقاته بأسرته وفق أساس محدد يقوم على زيادة إحساسه بالاستقلال ومنحه الحرية الكافية بعيداً عن سلطة الأبوية لكي يُعبر عن ذاته الفردية والتعبير عن احتياجاته ومشاعره الخاصة التي تنعكس بصورة إيجابية على كافة علاقات الجماعات الأخرى في المجتمع.

وتعمل مؤسسات رياض الأطفال على تعزيز احتياجات النمو الاجتماعي للطفل من خلال أداء الأنشطة الجماعية التي تؤكد على العمل الفريقي، وتقبل الآخر، وتنمية الاستقلالية لديه، والاعتماد على الذات، والشعور بالأمان والطمأنينة.

ونظراً لأهمية مرحلة رياض الأطفال في المجتمع فقد حظيت هذه المرحلة باهتمام على كافة المستويات الدولية والإقليمية والمحلية، لذا نتناول فيما يأتي الرؤية الجديدة لتعليم الأطفال في هذه المرحلة.

رؤية التعليم في مرحلة الطفولة Education vision

في ضوء خصائص مرحلة الطفولة، فإن التعليم هو السبيل إلى تمكين كل طفل من التمتع بحياة أفضل، وهو الأساس الذي يقوم عليه كل مجتمع قوي، ولكن ما زال عدد هائل من الأطفال دون تعليم. ويتطلب تحقيق الأهداف الإنمائية التحاق جميع الأطفال بمؤسسات الطفولة وتمكينهم جميعاً من التعلم. ويجب على كافة الدول والمؤسسات أن تعمل معاً لضمان تمتع جميع الأطفال بفرص التعليم الجيد وفرص التعلم مدى الحياة بغض النظر عن محل ولادتهم وجنسهم ودخل عائلاتهم.

وتتمثل رؤية التعليم في دول العالم حتى عام (2030) في تغيير حياة الناس عن طريق التعليم، إذ تقر الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بالدور المهم للتعليم في هذا المجال وفي تحقيق أهداف التنمية المستدامة الأخرى المقترحة نظراً لكونه السبيل الرئيس للتنمية. وتتعهد كافة دول العالم بالعمل من أجل وضع جدول أعمال واحد جديد للتعليم يكون شاملاً وطموحاً وواعداً فلا يُترك أحد دون تعليم، إذ تدرك الحاجة الماسة إلى ذلك. ويعبر الهدف الأممي الرابع المقترح للتنمية المستدامة والمتمثل في «ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع» والغايات الخاصة به تعبيراً تاماً عن هذه الرؤية الجديدة الرامية إلى تغيير حياة الناس. وهي رؤية عالمية تراعي ما لم يُجز بعد من جدول أعمال التعليم للجميع وما لم يتحقق بعد من الأهداف الإنمائية للألفية المتعلقة بالتعليم، وتتصدى لتحديات التعليم العالمية والوطنية. وقد استلهمت من رؤية إنسانية للتعليم والتنمية تقوم